

موقف أهل السنة من فلسفة اليونان ومنطقتهم

جمعاً ودراسة

د. حسن حسن كامل إبراهيم (*)

انقسم العرب والمسلمون إزاء علوم الأوائل - أو العلوم الدخيلة وبخاصة الفلسفة والمنطق اليونانيان - فريقين: أحدهما مؤيد لها والآخر معارض. ويرجع ذلك إلى أن الفريق الأول يعتقد أنه من الممكن الاستفادة من الفلسفة والمنطق اليونانيين في فهم كثير من مسائل العقيدة الإسلامية، ومن ثم يمكن التوفيق بينهما وبين الدين. ومن هذا المنطلق "أخضع الفلاسفة - يقصد الفلاسفة المنتسبين للإسلام - كل شيء لعقولهم، وأخذوا يرسمون القواعد ويقيمون الأدلة، وبيتعون كثيراً أو قليلاً عما فهمه المسلمون عن رسولهم، وعما استشعروه من الروح العامة للإسلام على وجه العموم. والواقع أن إقامة ما وراء المادة على العقل إنما هو شهوى أو هوى، ذلك أنه منذ ابتداء العهد اليوناني وهذا النهج من البحث في إخفاق متتابع، وفي فشل مستمر، وفي تناقض ملازم، ورجاله يناقض بعضهم البعض، ويهدم كل ما بناه الآخرون، وعلى توالى الزمن تنهار الآراء وتنشأ آراء أخرى لا تلبث أن تنهار، وهكذا دواليك". (١)

ومن هذا المنطلق وجد الفريق الآخر المقابل لهذا الفريق أن للفلسفة والمنطق اليونانيين خطراً على العقيدة، ومما زاد قناعة هذا الفريق برأيه أن أقدم تلك الفئة الأولى التي انبهرت بفلسفة ومنطق اليونان انزلت إلى الهلالية

(*) أستاذ مساعد - قسم الفلسفة، كلية البنات - جامعة عين شمس.

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام: د. عبد الحليم محمود، ص ٤٦٥.

بسبب الاستغلال بهما. ومن هنا كان ضرورياً في رأي هذا الفريق رفضهما والعمل على الحد من انتشارهما وتداولهما في ديار الإسلام التي لا تقبل بدون القرآن الكريم والسنة الشريفة - بديلاً.

وهكذا ثار فريق من المسلمين على الفلسفة والمنطق اليونانيين، وبدأت تلك الثورة واضحة عند هؤلاء المفكرين المسلمين " ممن اعتقدوا أن النبي إنما عني علوم اليونان حين سأل ربه أن يعذه " من علم ما لا ينفع فكان يعد مسلماً على الحقيقة، كل من يتجنب اليونانيات معتبراً إياها خطراً على الدين، وناظرها إليها على أنها " علوم مهجورة " و " حكمة مشوبة بكفر " (٢) (٣)

(٢) حقيقة الفلسفة الإسلامية: جلال العشري، ص ١٣٥.

(*) ورد هذا الحديث بأكثر من رواية في كتب الصحاح على النحو التالي:

- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبلخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها ".

- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع أعوذ بك من هؤلاء الأربع ".

- عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من أربع: " من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ونفس لا تشبع ".

- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الأربع: من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع ".

بإشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ: صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ١٨ في الأدعية، حديث رقم ٦٩٠٦، ص ١١٥٠، سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ٦٨: دعاء اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، حديث رقم ٣٤٨٢، ص ٢٠١، سنن النسائي، كتاب الاستعاذة، باب ٢: الاستعاذة من قلب لا يخشع، حديث رقم ٥٤٤٤، ص ٢٤٣٦، سنن ابن ماجه، كتاب

لقد وجد هذا النفر من المسلمين للمعارضين لفلسفة اليونان ومنطقهم أن فيهما من المفاسد والضلالات ما يجعلهم يطالبون " باستبعادها واتهام أصحابها بالكفر والزندقة. وأقرب الأمثلة على ذلك ما وجدوه في فلسفة أرسطو من مسائل تتعارض بصفة جوهرية مع تعاليم الإسلام وهي: عقيدة الإيمان بالله تعالى، والصلة بين الله والعالم، وخلود النفس".^(١) ولذلك اعدها هذا الفريق من المسلمين من قبيل البدع التي نهى عنها الإسلام " استناداً إلى الأحاديث الكثيرة المذكورة في هذا الباب منها ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين "... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ".^(٢)

الدعاء، باب ٢: دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٣٨٣٧، ص ٢٧٠٥، سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب ٣٢: في الاستعاذة، حديث رقم ١٥٤٨، ص ١٣٣٧.

(١) الإسلام والمذاهب الفلسفية: د. مصطفى حلمي، ص ١٠٠.

(*) ورد هذا الحديث بأكثر من رواية في كتب الصحاح على النحو التالي:

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة".

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًا وسترون من بعدي اختلافاً شديداً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم والأمور المحدثات فإن كل بدعة ضلالة"

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ". ينظر الكتب الستة بإشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ: سنن أبي داود، كتاب السنة، باب ٥: في لزوم السنة، حديث رقم ٤٦٠٧، ص ١٥٦١، سنن ابن ماجه: كتاب السنة، باب ٦: اتباع سنة الخلفاء الراشدين، حديث رقم ٤٢، ص ٢٤٧٩، سنن الترمذي، كتاب أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ١٦: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، حديث رقم ٢٦٧٦، ص ١٩٢١.

ولقد رفض أهل السنة الاشتغال بالفلسفة والمنطق اليونانيين بسبب ما صدر عن بعض المسلمين من مفاصد وضلالات، أقصد بسبب ما أتى به المشتغلون بهما من آراء وأفكار تخالف الإسلام، كالجد بن درهم (ت ١١٧ هـ) والجهم بن صفوان (ت ١٢٧ هـ)، اللذين أُلّيا بأراء تخالف الشرع الحنيف، ومنها على سبيل المثال لا الحصر إنكارهم للصفات حتى صفة الوجود؛ لأنها من صفات الحوادث " وهذه فلسفة جريئة تتعارض مع النصوص الدينية، ولا تتلاءم مع حرية الإيمان في صدر الإسلام، وكان لها أثرها فيمن حولها من محافظين ومجددين، فحمل السلف عليها حملة عنيفة، ورموا للرجلين بالكفر والزندقة * (١).

وسيتناول الباحث في هذا البحث آراء هذا الفريق من المسلمين المعارض للاشتغال بالفلسفة والمنطق اليونانيين بالعرض والدراسة، محاولاً الوقوف على الأسس التي اعتمدوا عليها في رفضهم لهذا التراث العقلي الذي أنتجته عقول فلاسفة اليونان * (٢).

(١) في الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيق: د. إبراهيم مكور، ج ٢، ص ٢٩.
(*) من الضروري أن ننبه إلى أن الموقف الراض للاشتغال بفلسفة اليونان ومنطقهم لم يقتصر على رجال الدين فحسب بل أنه يوجد شريحة أخرى من المتقنين المسلمين عارضت بدورها الاشتغال بهما وبخاصة المنطق، ورفضت أن يكون للمنطق دور في تأسيس علوم اللغة العربية وبخاصة النحو العربي. وسنذكر هنا نماذج من هؤلاء اللغويين على سبيل المثال لا الحصر:

* يشير أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) إلى أن أكثر أهل زمانه اتجهوا إلى الاشتغال بالمنطق وأعلوا من شأنه في حين أنهم لو اظهروهم للقرآن الكريم والسنة الشريفة، وهذه الفئة من المسلمين ظنوا بذلك أنهم علماء عصرهم، يقول: * وأرفع درجات لطيفنا - يقصد المشتغل بالمنطق - ... ينظر في... حد المنطق، ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه، وعلى حديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدري من نقله، قد رضي عوضاً من الله ومما عنده بأن يقال " فلان لطيف ... " و" فلان دقيق النظر " يذهب إلى أن لطف النظر قد أخرجه عن جملة الناس وبلغ به العلم ما جهلوه، فهو يدعوهم الرعاع والغناء والغثر، وهو - لعمر الله- بهذه الصفات أولى، هي به أليق، لأنه جهل وظن أنه قد علم، فهاتان جهالتان، ولأن هؤلاء جهلوا وعلموا أنهم يجهلون. ولو أن هذا المعجب بنفسه، الرازي على الإسلام برأيه، نظر من جهة النظر لأحياء الله بنور الهدي وثلج اليقين. " وهكذا لا ينبر المنطقي بمنطق يونان فحسب بل أنه يطعن في القرآن الكريم ويكذب السنة الشريفة.

* يصف ابن قتيبة الدينوري المنطق الذي اعده المنطقي العلم كل العلم مقابل الكتاب الكريم والسنة الشريفة وعلوم العرب والعربية بأنه علم لجوف بلا فائدة بل أنه يضر صاحبه أكثر مما ينفعه، يقول: " ولكنه - يقصد المنطقي - طال عليه أن ينظر في علم الكتاب وفي أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها، حدّ ذلك وعلاؤه وانحرف عنه إلى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون، وقل فيه المتناظرون، له ترجمة تروق بلا معني، واسم يهول بلا جسم، فإذا سمع الغمر والحدث الغر قوله: الكون والفساد... وسمع الكيان، والأسماء المفردة، والكيفية والكمية والزمان والدليل، والأخبار المؤلفة، راعه ما سمع، وظن أن تحت هذه الألقاب كل فائدة وكل لطيفة، فإذا طالعها لم يحل منها بطائل إنما الجوهر يقوم بنفسه، والعرض لا يقوم بنفسه، ورأس الخط للنقطة، و النقطة لا تنقسم والكلام أربعة: أمر، وخبر، واستخبار، ورغبة، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي: الأمر، والاستخبار، والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر، والآن حد الزمانين، مع هذيان كثير، والخبر ينقسم إلى تسعة آلاف وكذا [و] مائة من الوجوه، فإذا أراد المتكلم أن يتعمل بعض تلك الوجوه في كلامه كانت وبالاً على لفظه، وقيداً للسانه، وعيا في المحافل وعقله عند المتناظرين. " نستنتج من ذلك أن علوم اللغة العربية عامة والنحو العربي خاصة لا أثر للمنطق اليوناني أو المنطق الأرسطاطاليسي في تكوين قواعدها أو تأسيسها. وبالتالي ليس له نصيب من الصحة ما يدعيه أحد الباحثين أن منطق أرسطاطاليس (٣٢٢ - ٣٨٤ ق. م) له تأثير كبير في تشكيل علوم اللسان العربي.

* يؤكد ابن قتيبة الدينوري على أن من يشتغل بالمنطق يصاب بالعديد من الأضرار ويبدو ذلك بوضوح عندما ينعت المنطق بالرديلة الضارة التي يبتلي بها المشتغل بالمنطق، في حين نجد ابن قتيبة الدينوري يرى أن من منحه المولى عز وجل الإيمان والعمل بالكتاب

الكريم والسنة الشريفة - ينجو من أضرار هذه الرذيلة أعني المنطق، يقول: " فالحمد لله أعاد الوزير أبا الحسن - يقصد أبا الحسن عبد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل الذي ألف لأجله هذا الكتاب - أيده الله من هذه الرذيلة، وأبانه بالفضيلة وحياه بخيم السلف الصالح، ورداه رداء الإيمان، وغشاه بنوره، وجعله هدى من الضلالات، ومصبأحاً في الظلمات، وعرفه ما اختلف فيه للمختلون، على سنن الكتاب والسنة. " ذلك يعني أن كل من اشتغل بالمنطق اليوناني فهو ممن طبع الله تعالى على قلبه وعقله، وأن كل من اشتغل بالقرآن الكريم والسنة الشريفة وعلومهما فهو ممن رضي المولى عز وجل عنه ورزقه الإيمان في الدنيا ونفعه به في آخرته. للمزيد من التوضيح ينظر: أدب الكاتب: ابن قتيبة الدينوري، المقدمة ص ٢-٣، ٣-٤، ٤-٥، تاريخ الفلسفة في الإسلام: ت، ج، دي بور، ص ٧٦.

* يذكر أبو حيان التوحيدي (٣١٢ - ٤٠٣ هـ) في مقابساته مناظرة تحت عنوان:

" المنطق اليوناني والنحو العربي "

مناظرة جرت بين أبي سعيد السيرافي

وبين متى بن يونس الغنائي الفيلسوف "

وتدور هذه المناظرة كما يبدو من عنوانها بين أبي سعيد السيرافي (تـ ٣٦٨ هـ) النحوي والأديب العربي ومتى بن يونس المنطقي (٣٢٨ هـ)، والمطلع لهذه المناظرة يجد أن أبا سعيد السيرافي يؤكد على عدم تأثر النحو العربي بالمنطق يوناني مقابل متى بن يونس المنطقي الذي يؤكد بدوره في المقابل على حدوث هذا التأثير، نجد الأول كذلك يعد ليونان مثل بقية الأمم فهم - وبخاصة فيلسوفها أرسطاطاليس - ليسوا حجة على كافة البشر، في المقابل نجد الثاني يزعم أنهم كذلك. ومنشور هنا إلى بعض نقول من هذه المناظرة، تلك النقول التي تبين حجة كل طرف في دعم وجهة نظره في مسألة تأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني من عدمه. قال متى: أعني به أنه آلة من الآلات - يقصد المنطق - يعرف به صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه، كالميزان فأني أعرف به الرجحان من النقصان، والشائل من الجانح.

• فقال له أبو سعيد: أخطأت، لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالعقل، إن كنا نبحث بالعقل. هبك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن ؟ من لك بمعرفة الموزون، أهو حديد لو ذهب أو شبه أو رصاص ؟ وأراك بعد معرفة الوزن فقير إلى معرفة جوهر

الموزون، وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدها، فعلى هذا لم ينفك الوزن الذي كان عليه اعتمادك، وفي تحقيقه كان اجتهادك، إلا نفعاً يسيراً من وجه واحد، وبقيت عليك وجوه - فأنت كما قال الأول - حفظت شيئاً وضاعت منك أشياء وبعد فقد ذهب عليك ما هنا، ليس كل ما في الدنيا يوزن، بل فيها ما يوزن، وفيها ما يكال، وفيها ما ندع، وفيها ما يمسح، وفيها ما يحزر. وهذا وإن هكذا في الأجسام المرئية، فإنه أيضاً في المعقولات المعروضة، والإحساس ظلال العقول، وهي تكها بالتباعد والتقريب مع الشبه المحفوظ، والمماثلة للظاهرة ودع هذا، إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها، وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها، من أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه حكماً لهم وعليهم، وقاضياً بينهم ما شهد له قبلوه، وما أنكره رفضوه؟..

• قال أبو سعيد: إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت، وقومت وما حرفت، ووزنت وما جزمت، وأنها ما التأت وتأت، ولا ناقصت ولا زادت، ولا قدمت ولا أخرت، ولا أخلت بمعنى الخاص والعام، ولا بأخص الخاص ولا بأعم العام - وإن كان هذا لا يكون وليس في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني - فكأنك تقول بعد هذا: لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما وضعوه، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه!

• قال متى: لا، ولكنهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة، والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه، وعن كل ما يتصل به ويفصل عنه، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر، وانتشر ما انتشر، وفشا ما فشا، ونشأ ما نشأ من أنواع العلم وأصناف الصناعة، ولم نجد هذا لغيرهم.

• قال أبو سعيد: أخطأت وتعصبت، وملت مع الهوى فإن العلم ماثوث في العالم ولهذا قال قائل:

العلم في العالم ماثوث ونحوه العساقل ماثوث

وكذلك الصناعات منقوصة على جميع من على جديد الأرض، ولهذا غلب علم في مكان دون مكان، وكثرت صناعة في بقعة دون بقعة، وهذا واضح، والزيادة عليه مشغلة، ومع هذا فإنما كان يصح قولك وتسلم دعواك، لو كانت يونان معروفة بين جميع الأمم بالعصمة الغالية، والفطرة الظاهرة والبيئة المخالفة، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا ما قدرُوا، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا، وأن السكينة نزلت عليهم، والحق تكفل بهم، والخطأ تبرأ منهم، والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم، والردائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم! وهذا

١ - ابن حنبل:

عندما ازدهرت حركة نقل علوم الأوائل وترجمتها خاصة الفلسفة والمنطق في عهد المأمون في أواخر القرن الثاني الهجري، قلد نفر من المنتسبين للإسلام فلاسفة اليونان، وادخلوا آراءهم الفلسفية والمنطقية في الدراسات الإسلامية ؛ مما أدى إلى ظهور بعض المفاصد والضلالات في ديار الإسلام. ويصف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر بن أيوب بن سعد المشهور بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ذلك بقوله: " إلى أن جاء أول المائة الثالثة، وولي على الناس عبد الله المأمون، وكان يحب أنواع العلوم، وكان مجلسه عامراً بأنواع المتكلمين في العلوم، فغلب عليه حب المعقولات، فأمر بتعريب كتب يونان، وأقدم لها المترجمين من البلاد، فعربت

جهل ممن يظنه بهم، وعناد ممن يدعيه عليهم، بل كانوا كثيرهم من الأمم، يصيبون في أشياء، ويخطئون في أشياء، ويصدقون في أمور، ويكذبون في أمور، ويجسنون في أحوال، ويسئون في أحوال ! وليس واضح المنطق يونان بأسرها ! إنما هو رجل منهم، وقد أخذ عن قبله، كما أخذ عنه من بعده، وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والحجم الغفير، وله مخالفون منهم ومن غيرهم. ومع هذا فالاختلاف في الرأي والنظر في البحث والمسألة والجواب سنخ وطبيعة ! فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع هذا الخلاف أو يحلله، أو يؤثر فيه ؟ هيهات ! هذا محال. ولقد بقي العلم بعد منطقته على ما كان عليه قبل منطقته، وامسح وجهك بالسלוطة من شيء لا يستطيع ؛ لأنه مقتد بالفطرة والطباع. وأنت قلو فرغت بالك، وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها، وتجارينا فيها، وتدرس أصحابك بمفهوم أهلها، وتشرح كتب يونان بعبارة أصحابها، لعلمت أنك غني عن معاني يونان، كما أنك غني عن لغة يونان. المقابسات: أبو حيان التوحيدي، ص ٧٠ - ٧١. ولقد أورد جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) نفس المناظرة في مؤلفه: صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، ص ١٩٠ - ٢٠٠.

له، واشتغل بها الناس، والملك سوق ما سوق فيه جلب إليه، فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية ممن كان أبوه الرشيد قد أقصاهم وتبعهم بالحبس والقتل فحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه فقبلها، واستحسنها، ودعا الناس إليها، وعاقبهم عليها، فلم تطل مدته، فصار الأمر بعده إلى المعتصم، وهو الذي ضرب الإمام أحمد بن حنبل، فقام بالدعوة بعده، والجهمية تصوب فعله، وتدعو إليه، وتخبره أن ذلك هو تنزيه الرب عن التشبيه والتمثيل والتجسيم... ومع هذا فلم يكونوا يتجاسرون على إلغاء النصوص، وتقديم الآراء والعقول عليها، فإن الإسلام كان في ظهور وقوة وسوق الحديث نافقة ورؤوس السنة على ظهر الأرض. (١) نستنتج من ذلك أنه كان يسود بغداد في تلك الآونة تياران عقليان متناقضان: أحدهما إسلامي سلفي يقوده الفقهاء والمحدثون، الذين يلتزمون نصوص الكتاب والسنة، وهذا الفريق لا يؤيد التأويل على الإطلاق، ومن أبرزهم الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) في مقابل ذلك التيار العقلاني الذي يرجح العقل على النص بزعمه المعتزلة.

ولقد أغوت المعتزلة المأمون بالقول بخلق القرآن الكريم وامتحان كافة علماء الدين في تلك المسألة. ولقد تصدى لهذه المسألة فريق من الفقهاء والمحدثين الذين رفضوا القول بخلق القرآن الكريم. ومن أبرز هؤلاء ابن حنبل، الذي قرر أن " القرآن كلام الله وليس بمخلوق، ولا يضعف أن يقول: ليس بمخلوق، فإن كلام الله ليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوق. " (٢) يعني ذلك

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتزلة: ابن قيم الجوزية، جـ ٣، ص ١٠٧٢-١٠٧٣.

(٢) أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل: دراسة أصولية مقارنة: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص ٤٠.

عند ابن حنبل أن كل من قال: إن القرآن الكريم مخلوق فهو كافر، ومن لم يكفره فهو كافر. (٤)

ولقد ابتلي ابن حنبل بسبب قوله هذا الذي عارض فيه الخليفة وحاشيته الذين تأثروا بفلسفة اليونان ومنطقهم بمحنة عظيمة ساقته إلى السجن والتعذيب سنين. فقد تبني الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) الذي ولي بعد للخليفة المأمون القول بخلق القرآن للكريم مثل أخيه الخليفة المأمون، وسار على دربهما من لتي بعد الخليفة المعتصم الخليفة وهو الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) لكن في عهد الخليفة المتوكل الذي تلاه انتهت محنة القول بخلق القرآن الكريم ؛ لأن الخليفة أظهر ميلاً إلى السنة الشريفة وأظهر أهلها. ولقد انتهت مسألة امتحان الفقهاء والمحدثين في القول بخلق القرآن الكريم سنة ٢٣٤ هـ. (٥) انتهت بترجيح النص الديني على العقل الذي رفعته المعتزلة فوق النص الديني بسبب تأثرهم بفلسفة اليونان ومنطقها.

٢ - الغزالي:

يعد أبو حامد الغزالي (ت ٥٥٥ هـ) في طليعة مفكري المسلمين الذين اتخذوا موقفاً رافضاً للفلسفة والمنطق اليونانيين، ويظهر ذلك بوضوح وجلاء في بعض مؤلفاته مثل: " المنقذ من الضلال " و " تهافت الفلاسفة ". تلك المؤلفات

(٤) أصول السنة: أحمد بن حنبل، ٥٦ - ٥٧، وللمزيد من التوضيح ينظر: الفصل في المال

والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي، ج ٣، ص ٥. أحمد بن حنبل إمام أهل السنة:

عبد الحليم الجندي، ص ٤١٥.

التي شن من خلالها حملات شرسة على الفلسفة والفلاسفة وصلت ذروتها أن كفرهم الغزالي. (١)

ويذكر الغزالي أن الفلاسفة مختلفون ومتنازعون وأساليبهم متباعدة عن بعضها البعض، يقول: "ليعلم أن الخوض في حكاية اختلاف الفلاسفة تطويل، فإن خطبهم طويل، ونزاعهم كثير، وآراءهم منتشرة، وطرقهم متباعدة متدايرة." (٢) ولم يكتف الغزالي بهذا النقد الذي وجهه للفلاسفة؛ بل أنه نعت ما تركه فلاسفة اليونانيين والمسلمين من آراء وأفكار أنها ملاء بالتخييل والتخليط والنشويش.

ويشير الغزالي إلى أن مذاهب الفلاسفة لا يقين فيها ولا ثبات، فهم يعتمدون فيها على الظن، وعلى هذا الأساس تقوم براهينهم في الإلهيات لذلك اختلفوا حولها. يقول "لا تثبت ولا إتقان لمذهبهم عندهم، وأنهم يحكمون بظن وتخمين، من غير تحقيق ويقين، ويستدلون على صدق علومهم الإلهية بظهور العلوم الحسابية والمنطقية ويسترجون به ضعفاء العقول، ولو كانت علومهم الإلهية متقنة البراهين، نقيّة عن التخمين؛ كعلومهم الحسابية لما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في الحسابية." بل إن الفلسفة عنده فيها كثير من الخداع والتلبيس والتخييل.

ويقرر الغزالي أنه مما زاد الطين بلة ما جرى من تحريف لما ترجم عن فلاسفة اليونان وخاصة فلسفة أرسطاطاليس التي قلدها كل من أبي نصر محمد الفارابي (٢٥٧ - ٣٣٩ هـ) وأبي علي بن الحسين بن سينا (٣٧٠ -

(١) المنقذ من الضلال: الغزالي مع أبحاث أخرى في التصوف ودراسات عن الغزالي، ص ١٠٤.

(٢) تهافت الفلاسفة: الغزالي، المقدمة، ص ٧٤.

٤٢٨ هـ)، اللذين قلدا - على غرار غيرهم من فلاسفة المسلمين -
أرسطاطاليس في مفسده وضلالاته. يقول: " ثم المترجمون لكلام "
أرسطاطاليس " لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج إلى تفسير وتأويل،
حتى أثار ذلك أيضاً نزاعاً بينهم. وأقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة في
الإسلام " الفارابي أبو نصر " و " ابن سينا " فنقتصر على إبطال ما اختاره
ورأياه الصحيح من مذهب رؤسائهما في الضلال، فإن ما هجراه واستكفاه من
المتابعة فيه لا يتماري في اختلاله، ولا يفتقر إلى نظر طويل في إبطاله، فليعلم
أنا مقصرون على رد مذاهبهم بحسب نقل هذين الرجلين، كي لا ينتشر الكلام
بحسب انتشار المذاهب. " وبسبب كل المفاصد المنتشرة في كل تلك الآراء الفلسفية
أكد الغزالي على كفر فلاسفة اليونانيين ومن قلدهم من فلاسفة المسلمين.

ويشير الغزالي إلى أن أغالطهم التي وقعوا فيها عشرون أصلاً ووجب
تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في السبعة الأخرى. ويذكر في مؤلفه " تهافت
الفلاسفة " الثلاثة التي يجب تكفيرهم فيها على النحو التالي: " أما المسائل
الثلاث، فقد خالفوا فيها كافة المسلمين، وذلك في قولهم:

١ - إن الأجساد لا تحشر، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح المجردة،
والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية ولقد صدقوا في إثبات
الروحانية، فإنها كائنة أيضاً، ولكن كذبوا في إنكار الجسمانية، وكفروا
بالشرعية فيما نطقوا به...

٢ - ومن ذلك قولهم: عن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات. وهذا أيضاً كفر صريح، بل الحق أنه: " لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ". (*)

٣ - ومن ذلك قولهم بقدم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من المسلمين إلى شيء من هذه المسائل. * (١)

لكن يرى بعض الباحثين أن الغزالي عندما وجه انتقاداته للفلسفة والمنطق اليونانيين لم يكن ذلك موقفاً عدائياً منه تجاههما بل إنه انتقد بعض الفلاسفة وبعض طروحاتهم فحسب، بل الأكثر من ذلك فالغزالي - عند هذا النفر من الباحثين - كان فيلسوفاً ومنطقياً عندما انتقد الفلسفة والفلاسفة. فمما لاشك فيه أن الغزالي ربما يكون أعظم فيلسوف أفرزه الإسلام، لأنه الروح والفكر المتوقد والعقل الأصيل الفذ المبتكر الذي حاول أن يعبر عن النسق الفكري الإسلامي الأصيل. وسواء أنجح الغزالي أم لم ينجح، فليس هنالك من شك أنه حاول محاولة رائدة ومحررة إلى أبعد الحدود من أسر الفلسفة اليونانية، وهي محاولة تزخر بالمشير الجديد. ولئن فشل الفلاسفة في الإشارة إليها والإشادة بها فإن ذلك مرده إلى سوء الفهم لموقف الغزالي من الفلسفة خاصة، ولزهد

(*) " وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين " (يونس / ٦١)

(١) المنقذ من الضلال: الغزالي، مع بحوث في التصوف ودراسات عن الغزالي، ص ١١٨

المفكرين الإسلاميين في الفلسفة عامة، واعتبارها حكراً لفلاسفة اليونان الوثنيين". (٢)

٣ - ابن الجوزي:

يسير أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ) على نفس منوال غيره من أهل السنة، الذين بينوا أن الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام حادوا عن الإسلام بسبب اتباعهم لفلاسفة اليونان في كل ما طرحوه من مذاهب وآراء وأفكار فلسفية. فقبل أن يعدد ابن الجوزي البغدادي الذلات التي سقط فيها هؤلاء المتفلسفة المنتسبون للإسلام - بسبب تلبس إبليس عليهم - مما أدى بهم إلى الابتعاد عن الحق وتقليد الشيطان. يقول: "إنما تمكن إبليس من التلبس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بأرائهم وعقولهم. وتكلموا بمقتضي ظنونهم من غير اللغات إلى الأنبياء". (٣) نستنتج من ذلك أن الفلاسفة بسبب توكلهم على عقولهم واجتهاداتهم فحسب ضلوا وأضلوا وضرروا وما نفعوا.

لقد ألبس إبليس على المتفلسفة المنتسبين للإسلام، فقد ألبس عليهم الذكاء الشديد، وأظهر لهم أن الصواب اتباع فلاسفة اليونانيين لا طريق الأنبياء. يقول: "وقد لبس إبليس على أقوام من ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية ومنطقية

(٢) للفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي: رؤية نقدية لفكر الغزالي وفلسفته: د. زكريا بشير إمام، ص ١٧٧، وللمزيد من التوضيح ينظر: المنطق والموازن القرآنية: قراءة لكتاب القسطاس المستقيم للغزالي: أ.د. محمد مهران، المقدمة، ص ٨.

(٣) تلبس إبليس: ابن الجوزي البغدادي، ص ٥٩.

وطبيعية واستخرجوا بفطنهم أموراً خفية غير أنهم لما تكلموا في الإلهيات خلطوا ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا في الحسيات والهندسيات " (١) يدل ذلك على مدى موضوعية ابن الجوزي البغدادي الذي أقر بأن لدى فلاسفة اليونانيين علومًا مقبولة ولا اختلاف حولها كعلوم الهندسة والطبيعات، وهذه العلوم ممكن الاستفادة منها لما أفكارهم وأقوالهم عن الإلهيات فهي غير مقبولة بسبب ما يشيع فيها من مفسدات وضلالات تخالف العقيدة الإسلامية.

٤ - ابن الصلاح:

لعبت الفتاوى التي أصدرها نفر من رجال الدين المسلمين دوراً بارزاً في النفور من دراسة الفلسفة والمنطق اليونانيين. فما هو ذي كمال الدين الموصلي ابن الصلاح الشهرزوي (تـ ٦٤٣ هـ) يصدر فتواه التي تدعم ذلك الموقف الرافض للاشتغال بهما. وستقوم تلك الفتاوى بعد ذلك بدور كبير في ذلك المضمار حيث سيعتمد عليها ثلّة من رجال الدين التالين له في تحريم الاشتغال بالفلسفة والمنطق اليونانيين تعليماً وتعلماً.

فعندما سأل عن الفلسفة والمنطق والاشتغال بهما وعن الفلاسفة المنتسبين للإسلام أفتى بتحريم الاشتغال بهما وكفر هؤلاء الفلاسفة. ومن فتواه على سبيل المثال لا الحصر:

- مسألة: في جماعة من المسلمين المنتسبين إلى أهل العلم والتصوف، هل يجوز أن يشتغلوا بتصنيف ابن سينا وأن يطالعوا في كتبه؟ وهل يجوز لهم أن يعتقدوا أنه كان من العلماء أم لا؟.

(١) تلبس إبليس: ابن الجوزي البغدادي، ص ٦٣.

- أجاب (رضي الله عنه) لا يجوز لهم ذلك، ومن فعل ذلك فقد غرر بدينه، وتعرض للفتنة العظمى - ولم يكن من العلماء بل كان شيطاناً من شياطين الإنس ن وكان حيولاً في كثير من أمره بنشد كثيراً:

إن كنت أدري فعلى بدننه من كثرة للتخليط أني أنه من أنه (٢)

- مسألة: فيمن يشتغل بالمنطق والفلسفة تعليماً وتعلماً وهل المنطق جملة وتقصيلاً مما أباح الشارع تعليمه وتعلمه ؟ والصحابه والتابعون والأئمة المجتهدون والسلف الصالحون ذكروا ذلك، لو أباحوا الاشتغال به، أو سوغوا الاشتغال به أم لا ؟ [وهل] يجوز أن يستعمل في الأحكام الشرعية الاصطلاحات المنطقية أم لا ؟ وهل الأحكام الشرعية مفتقرة إلى ذلك في إثباتها أم لا ؟ وما الواجب على من تلبس بتعليمه وتعلمه متظاهراً به ؟ ما الذي يجب على سلطان الوقت في أمره ؟ وإذا وجد في بعض البلاد شخص من أهل الفلسفة معروف بتعليمها وإقرائها والتصنيف فيها وهو مدرس في مدرسة من مدارس العلم فهل يجب على سلطان تلك البلاد عزله وكفاية [الناس] شره ؟

- أجاب (رضي الله عنه) للفلسفة رأس السفه والاحتلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيف والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالحجج الظاهرة، والبراهين الباهرة، ومن تلبس بها تعليماً وتعلماً قارنه الخذلان والحرمان واستحوذ عليه الشيطان، وأي فن أخزى من فن يعمي صاحبه - أظلم قلبه - عن نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم [كلما ذكره ذلك، وكلما غفل عن ذكره غافل] مع لتفتتار آياته المستبينة، ومعجزاته

(٢) فتاوى ومسائل في التفسير والحديث والأصول والفقه ومعه أدب المفتي والمستفتي: ابن

الصلاح، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

المستثيرة حتى لقد انتدب بعض العلماء لاستقائها، فجمع منها ألف معجزة وعدناه مقصراً، إذ فوق ذلك بأضعاف لا تحصى، فإنها ليست محصورة على ما وجد منها في عصره صلى الله عليه وسلم على تعاقب العصور، وذلك أن كرامات الأولياء من أمته، وإجابات المتوسلين به حولتهم ومغوثاتهم عقيب توصلهم به في الشدائد براهين له صلى الله عليه وسلم قواطع، ومعجزات له سواطع، ولا يعدها عد، ولا يحصرها حد، أعاننا الله من الزيف عن ملته، وجعلنا من المهتدين وتعلمه مما أباحه الشارع، واستباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين، وسائر من يقتدي به من أعلام الأئمة وسادتها، وأركان [الأمة] وقادتها، قد برأ الله الجميع من مغرة ذلك وأناسه، وطهرهم من أوضاره.

- وأما استعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية فمن المنكرات المستبشرة والرقاعات المستحدثة، وليس بالأحكام الشرعية. والحمد لله [فلافتقار] إلى المنطق أصلاً، وما يزعمه المنطقي للمنطق من أمر الحد والبرهان فقعاقد قد أغنى الله عنهما [بالطريق الأقوم والسبيل الأسلم الأطهر] كل صحيح الذهن، ولا سيما من خدم نظريات العلوم الشرعية، وقد تمت الشريعة وعلومها وخاض في بحار الحقائق والدقائق علماؤها، حيث لا منطق ولا فلسفة و[الفلسفة]، ومن زعم أنه يشتغل مع نفسه بالمنطق والفلسفة لفائدة يزعمها فقد خدعه الشيطان ومكر به، فالواجب على السلطان - أعزه الله وأعز به الإسلام وأهله - أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم، ويخرجهم من المدارس ويبعدهم، ويعاقب على الاشتغال بفنهم، ويعرض من ظهر منه اعتقاد عقائد الفلاسفة على السيف أو الإسلام لتخدم نارهم، ولتتمحي آثارها وآثارهم، يسر الله ذلك وعجله، ومن أوجب هذا الواجب عزل من كان مدرس مدرسة من أجل الفلسفة والتصنيف فيها

والإقرار لها ثم سجنه وإلزامه منزله، ومن زعم أنه غير معتقد لعقائدهم فإن حاله يكذب والطريق في قلع الشر أصوله وانتصاب مثله مدرسا من العظام جملة، والله تبارك وتعالى ولي التوفيق والعصمة وهو أعلم. (١)

يتضح مما سبق أن الاشتغال بالفلسفة والمنطق لليونانيين تعليماً وتعلماً عند ابن الصلاح يرتبط بالكفر والإلحاد والبعد عن الإسلام قرأنا وسنة.

٥ - ابن تيمية:

بلغت المواجهة بين فلسفة اليونان ومنطقهم من جهة، والإسلام من جهة أخرى نروتها مع نقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي (ت ٧٢٨ هـ)، الذي ألف كثيراً من المؤلفات التي أكد من خلالها أن للفلسفة والمنطق اليونانيين مضار عديدة على عقيدة الإنسان المسلم وعلى تفكيره أيضاً، ولأجل ذلك أشار إلى ما تتطوي عليه من مفساد وضلالات في كثير من مؤلفاته. منها على سبيل المثال لا الحصر: "درء تعارض العقل والنقل"، "الرد على المنطقيين"، "نقض المنطق"، "الرسالة التكميرية"، "الرسالة العرشية"، "رسالة الرد على عقائد الفلاسفة..." إلخ. وسنشير في هذا المقام إلى بعض أقوال ابن تيمية - على سبيل المثال لا الحصر - التي تبين هذا الموقف الرافض لفلسفة اليونان ومنطقهم.

أشار ابن تيمية إلى أن الفلاسفة يزعمون أن طروحاتهم الفكرية والعقلية مما هو محكم ويجب اتباعه مقابل رسالات الأنبياء والمرسلين فهي من المتشابهة. يقول: "... (وكالفلاسفة) فيجعلون ما ابتدعوه هم برأيهم هو المحكم الذي يجب اتباعه، وإن لم يكن معهم من الأنبياء والكتاب والسنة ما يوافقهم، ويجعلون ما

(١) فتاوى ومسائل في التفسير والحديث والأصول والفقه ومعه أدب المفتي والمستفتي: ابن الصلاح، ص ٢١٩ - ٢١٢.

جاءت به الأنبياء وإن كان صريحاً قد يعلم معناه بالضرورة يجعلونه من المتشابه، ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للأنبياء من جميع أهل البدع. " (١)

يعترض ابن تيمية على مزاعم المتفلسفة تجاه القرآن الكريم وتوهمهم أنهم وحدهم أهل اليقين. يقول: " والمتفلسفة يقولون: القرآن جاء بالطريق الخطائية والمقدمات الإقناعية التي تقنع الجمهور، ويقولون: إن المتكلمين جاءوا بالطرق الجدلية، ويدعون أنهم أهل البرهان اليقيني، وهم أبعد عن البرهان في الإلهيات من المتكلمين، والمتكلمون أعلم منهم بالعمليات البرهانية في الإلهيات والكليات، ولكن للمتفلسفة في الطبيعيات خوضاً وتفصيلاً تميزوا به بخلاف الإلهيات، فإنهم من أجهل الناس بها وأبعدهم عن معرفة الحق فيها، وكلام أرسطو معلمهم فيها قليل كثير الخطأ فهو لحم جمل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقي ولا سمين فيقلي. " (٢)

ذكر ابن تيمية في مقدمة كتابه " نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان " والذي لخصه جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحت عنوان " جهد القريحة في تجريد النصيحة " إلى عدم فائدة المنطق لعقمه وفساده، وهذا ما أثبتته في كثير من مؤلفاته " الرد على المنطقيين " و " نقض المنطق ... إلخ. يقول: " أما بعد: فإنني كنت دائماً أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به البليد. ولكن كنت أحب أن قضاياه صادقة لما رأيناه من صدق كثير منها ثم تبين لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياه وكتبت في ذلك شيئاً، ولما كنت بالإسكندرية اجتمع لي من رأيته يعظم المتفلسفة بالتهويل والتقليد، فنكرت له بعض ما يستحقونه من التجهيل والتضليل. واقتضي ذلك أنني كتبت في قعدة بين

(١) مجموعة الرسائل الكبرى: ج ١: الرسالة الأولى: الفرقان بين الحق والباطل: ابن

تيمية، ص ١٠٧.

(٢) المرجع السابق: الرسالة الثانية: معارج الوصول، ص ١٨١.

الظهر والعصر من الكلام على المنطق ما علقته تلك الساعة ولم يكن ذلك من همتي ؛ لأن همتي كانت فيما كتبتهم عليهم في الإلهيات، وتبين لي أن كثيراً مما ذكروه في المنطق هو من أصول فساد قولهم في الإلهيات مثل ما ذكروه من تركيب الماهيات من الصفات التي سموها ذاتيات، وما ذكروه من حصر طرق العلم فيما ذكروه من الحدود والأهيسة البرهانيات، بل ما ذكروه من الحدود التي بها تعرف التصورات، بل ما ذكروه من صور القياس ومواد اليقينيات. فأراد بعض الناس أن يكتب ما علقته إذ ذلك من الكلام عليهم في المنطق فأذنت في ذلك لأنه يفتح باب معرفة الحق وإن كان ما فتح من باب الرد عليهم يحتمل أضعاف ما علقته. " (١)

لقد بز ابن تيمية في نقده وهجومه على فلسفة اليونان ومنطقهم الغزالي وكذلك أبو محمد علي بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ)، وفاقهما أيضاً في حملته على علم الكلام وفلسفة الفلاسفة المنتسبين للإسلام. فقد " هاجما - يقصد الغزالي وابن حزم الظاهري - الفلسفة اليونانية - العربية بلهجة لا هوادة فيها ولا لبس. وقد تخطى ابن تيمية بعنفه ابن حزم، فاحتج على مضار الفلسفة وعلم الكلام، ودعا إلى الرجوع إلى الطرق القويمة التي انتهجها " السلف الصالح " فكأنه باندفاعه الديني هذا أراد أن يبطل تراث قرون عديدة من ثمار التفكير الديني، ويستقي الحق من مياه الدين الصافية، كما كانت قبل أن تعكرها الخلافات الكلامية والمشادات الفلسفية بزمان طويل. " (٢)

(١) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام: جلال الدين السيوطي ويليهِ مختصر السيوطي لكتاب نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان لتقي الدين ابن تيمية، ص ٢٠٢، Watt (Montgomery. W): Muslim intellectual a study of Al - ghazall , p 124.

(٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية: وضعه بالإنكليزية د. ماجد فخري نقله إلى العربية د. كمال البازجي، ص ٤٣٢.

٦ - ابن قيم الجوزية:

تابع ابن قيم الجوزية شيخه ابن تيمية في رفض فلسفة اليونان ومنطقهم بسبب ما يشتملان عليه من مفاصد وضلالات، إلى جانب الأضرار التي تلحق بالمشتغل بهما. ولقد بين ابن قيم الجوزية موقفه الرافض للفلسفة والمنطق اليونانيين في العديد من المؤلفات التي تركها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: " مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة " و " إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان " و " القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية " و " الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ... إلخ.

يري ابن قيم الجوزية أن إبليس تلبس على طائفة من الناس - الفلاسفة - وزين لهم أن الفلسفة تمثل اليقين المطلق وأن منطق اليونان يعد ميزان المعاني. يقول: " ومن كيده بهم وتحيله على إخراجهم من العلم والدين: أن ألقى على ألسنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد اليقين، وأوحى إليهم أن القواطع العقلية والبراهين اليقينية في المناهج الفلسفية والطرق الكلامية، فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن، وأحالهم على منطق يونان، وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبة العرية عن البرهان، وقال لهم: تلك علوم قديمة صقلتها العقول والأذهان، ومرت عليها القرون والأزمان، فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الإيمان كإخراج الشعرة من العجين. " (١)

ويعد ابن قيم الجوزية آراء فلاسفة اليونان فاسدة، فأراء أرسطاطاليس - على سبيل المثال لا الحصر - باطلة ويشيع فيها كثير من الأخطاء. يقول: " وقد حكى أرباب المقالات أن أول من عرف عنه القول بقدم هذا العالم أرسطو.

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن قيم الجوزية، ج ١، ص ١٢٧.

وكان مشركاً يعبد الأصنام. وله في الإلهيات كلام كله خطأ من أوله إلى آخره، قد تعقبه بالرد عليه طوائف المسلمين، حتى الجهمية، والمعتزلة، والقدرية، والرفضية، وفلاسفة الإسلام - أنكروا عليه، وجاء فيه بما يسخر منه العقلاء. " (٢) نستدل من ذلك على أن مفكري المسلمين بمختلف طوائفهم لم يقلدوا أرسطاطاليس على الإطلاق بل إنهم رفضوا بعض آرائه.

ويحمل ابن القيم الجوزية على أرسطاطاليس لقوله: إن الله تعالى لا يعلم الجزئيات، ويتعجب كيف يدلي بهذا الرأي الفاسد. يقول: " وأنكر أن يكون الله سبحانه وتعالى يعلم شيئاً من الموجودات، وقرر ذلك بأنه لو علم شيئاً لكمل بمعلوماته، ولم يكن كاملاً في نفسه، وبأنه كان يلحقه التعب والكلال من تصور المعلومات. فهذا غاية عقل هذا المعلم والأستاذ. وقد حكى ذلك أبو البركات - يقصد هبة الله بن ملكا البغدادي (ت ٥٤٧ هـ) -، وبالح في إبطال هذه الحجج، وردها. " (٣)

ولم يترك ابن قيم الجوزية مؤلفاً قائماً بذاته أشار فيه لانتقاداته على منطق أرسطاطاليس على غرار شيخه ابن تيمية بل نجد له بعض الآراء حول هذه المسألة موجودة في مختلف مؤلفاته. فنجد في مؤلفه " مفتاح دار السعادة... " يشير إلى أن المنطق اليوناني علم غير صحيح، ومخالف للعقل الصريح، وأن أصوله فاسدة ومتناقضة. يقول: " أما المنطق فلو كان علماً صحيحاً كان غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوها، فكيف وباطله أضعاف حقه، وفساده وتناقض أصوله واختلاف مبانيه توجب مراعاتها الذهن أن يزيغ في فكره ولا تؤمن بهذا إلا من قد عرفه وعرف فساده وتناقضه ومناقضة كثير منه للعقل

(٢) المرجع السابق: ج ٢، ص ٥٩٤.

(٣) المرجع السابق: ج ٢، ص ٥٩٤.

الصريح، وأخبر بعض من كان قد قرأه وعني به أنه لم يزل متعجباً من فساد أصوله وقواعده ومباينتها لصريح المعقول وتضمنها لدعاوٍ محضة غير مدلول عليها وتفريقه بين متساويين وجمعه بين مختلفين؛ فيحكم على الشيء بحكم وعلى نظيره بضد ذلك الحكم، أو يحكم على الشيء بحكم ثم يحكم على مضاده أو مناقضه به". (١)

ولقد أشار ابن قيم الجوزية إلى أنه رد على آراء أرسطاطاليس المنطقية نفر غفير من المسلمين وفي مقدمة هؤلاء ما صنفه شيخه ابن تيمية من مؤلفات للرد على منطق أرسطاطاليس، وخاصة كتابيه: الكبير "نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان" والصغير "نقض المنطق" حيث بين فيهما ما يوجد في منطق أرسطاطاليس من مفاصد وعيوب. (٢)

٧- السيوطي:

ذكر السيوطي أن كثيراً ممن يشتغلون بالمنطق اليوناني لا يتقنونه ولا يفهمونه، وهم يدافعون عنه عن جهل لا عن علم، وهؤلاء المناطقة رفضوا فتاوى ابن الصلاح بتحريم تعليمه وتعلمه، إنهم - عند السيوطي - لم يسلكوا طريق أهل الشرع ولا طريق أهل المنطق. يقول: "ثم إن كثيراً من المخطئين - يقصد المشتغلين بالمنطق - الذين هم عن تحقيق العلم بمعزل إن لهجوا بأن يقولوا ما الدليل على تحريمه؟ وما مستند ابن الصلاح في إفتائه بذلك؟ ونحو ذلك من العبارات. والعجب أنهم يناضلون عن المنطق ولا يتقنونه، ويدأبون فيه وفي أبحاثهم لا يستعملونه، فيخطبون فيه خبط عشواء ولا يهتمون عند المناظرة

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة: ابن قيم الجوزية، ج ١، ص ٢٤٦.

(٢) المرجع السابق: ج ١، ص ٢٤٧.

والاستدلال إلا إلى عمياء. ولقد اجتمع بي بعض من قطع عمره في المنطق فرأى قول ابن الصلاح في فتاويه: وليس بالاشتغال بتعلمه وتعليمه مما أباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين فقال: هذه شهادة على نفي فلا تقبل. فقلت: يا سبحان الله لا طريق أهل الشرع سلكتم ولا طريق أهل المنطق اعتمدتم. " (٣) ويعلل السيوطي تخطئ المناطقة وتذبذبهم بين طريق أهل الشرع وأهل المنطق بقوله: " أما أهل الشرع فيقولون: إن النفي إذا كان من أهل الاستقراء التام فإنه يقبل ويعتمد. وقد جرى على ذلك أهل الحديث وأهل الفقه وأهل العربية، لغة ونحواً وتصريفاً، وأهل البلاغة معاني وبيانا وبديعا، وأهل العروض في مشاكل يطول سردها. وأما أهل المنطق فإنهم يقولون: إن السالبة الكلية إنما تنتقض بموجبة جزئية. وهو أن يقال بل أباحه فلان الصحابي أو التابعي أو المجتهد فيحصل بذلك نقض كلام ابن الصلاح، ولا سبيل إلى وجود ذلك عن أحد من المذكورين حتى يلج الجمل في سم الخياط. وأما الدفع بالصدر وهو أن يقال ما هو صحيح أو من أين له ذلك فما هو طريقة أحد لا متشرع ولا متفلسف. " (٤)

يؤكد السيوطي على موافقته على فتاوي ابن الصلاح من خلال إشارته إلى أنه ألف كتابه " صون المنطق... " لأجل توضيح صحة ما قاله ابن الصلاح من تحريم الاشتغال بالمنطق. يقول: " وقد رأيت أن أصنف كتاباً مبسوطاً [في تحريمه] - يقصد المنطق - على طريقة الاجتهاد والاستدلال جامعاً مانعاً

(٣) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام نجلال الدين السيوطي، وبليغ مختصر السيوطي لكتاب نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان لتقي الدين ابن تيمية، ص ٣٢.

(٤) المرجع السابق: ص ٣٢.

وبالحق صادعا، أبين فيه صحة ما ادعاه ابن الصلاح من نسبة نفي الإباحة إلى المذكورين. ولما شرعت في ذلك ولزم منه الإنجرار إلى نقل نصوص الأئمة في منع النظر في علم الكلام لما بينهما من التلازم. ^(١)

يبدو بوضوح مما سلف أن السيوطي تأثر بكل من فتاوى ابن الصلاح التي تنص على تحريم الاشتغال بالفلسفة والمنطق اليونانيين، وتأثر أيضاً بالانتقادات التي وجهها ابن تيمية لهما في العديد من مؤلفاته. وسيؤثر بكل هذه الجهود لاحقا كثيرا من أهل السنة الذين سيأتون بعد ذلك.

يظهر مما سبق أن الفلسفة التقت بالدين في ديار الإسلام على يدي الفلاسفة المنتسبين للإسلام، الذين قاموا بعملية توفيق بين الدين والفلسفة، ولذلك قيل إن الفلسفة الإسلامية فلسفة توفيقية: توفق بين الدين (الإسلام) والفلسفة (الفلسفة عامة وفلسفة اليونان على وجه الخصوص). لكن هذا الأمر - على نحو ما ذكرنا سابقاً - لم يستمر كثيرا فقد واجه رجال الدين من المسلمين - أعني أهل السنة - هذه المسألة بالدراسة والتحليل والنقد. فهذه المحاولات من قبل الفلاسفة المنتسبين للإسلام " لم تمر بسلام، فقد حدثت ردود فعل مختلفة، وبدرجات متفاوتة إذ تصدى الغزالي للفلسفة وكفر منتحليها في مسائل معينة ولكنه ارتضى منها بعض مسائل أخرى، بينما نجد ابن تيمية ومدرسته ومن هم على شاكلته من المتشددین في التمسك بالصورة الأولى المخلصة للإسلام عند بدء ظهوره، يرفضون كل دعاوى الفلسفة والمنطق. ^(٢)

(١) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام: جلال الدين السيوطي، ص ٣.

(٢) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: المقدمات - علم الكلام - الفلسفة الإسلامية: د. محمد على أبو ريان، ص ٥، ٣٥٤.

(٣) حقيقة الفلسفة الإسلامية: جلال العشري، ص ١٤٦.

ولقد مرت تلك الثورة على الفلسفة والمنطق اليونانيين في ديار الإسلام بمراحل وتطورات. فيبدو بوضوح وجلاء " مدى عنف الثورة وشذوها تلك الثورة التي كانت أن تكون على المسلمين لا فرض عين بل فرض كفاية، بيد أنها كانت حتى الآن قد اتخذت صورة الفتاوى والدعاوي والمنشورات والبيانات التي لا تهمنا قيمتها العلمية بقدر ما يهمنا مبلغ ما فيها من انفعالات نفسية وشحنات عقلية تلقي جميعاً الضوء على رد الفعل الذي كان العالم الإسلامي يحياه، فإننا نجد هذه الثورة عند آخرين من نظار المسلمين وقد اتخذت شكل النقد المنهجي القائم على الاستدلال المنطقي المؤدي بدوره إلى تحريم تعاطي الفلسفات والتنازل عنها. " (٢)

وفسر نفر من الباحثين موقف أهل السنة من الفلسفة والمنطق اليونانيين أعني تحريم الاشتغال بهما من قبيل خوفهم على العقيدة الإسلامية، فالفلسفة والمنطق اليونانيان يمثلان خطراً يهدد العقيدة الإسلامية، لذلك قرر أهل السنة ضرورة التحذير من خطرهما ومحاربتهما. فقد كان " لأهل السنة بإزاء المنطق اليوناني موقف خطير أخطر بكثير من موقفهم بإزاء بقية علوم الأوائل. فبينما كان عدم الثقة بإزاء العلوم اليونانية الأخرى يبدو في العناية بالتحذير منها فحسب، ظهر الكفاح ضد المنطق في صورة معارضة خطيرة كل الخطورة. فالاعتراف بطرق البرهان الأرسططالية عُدَّ خطراً على صحة العقائد الإيمانية، لأن المنطق يهدد تهديداً جدياً كبيراً. وعن هذا الرأي عبر الشعور العام لدى غير المتقنين في هذه العبارة التي جرت مجري المثل: من تمنطق تزندق. " (١)

وبسبب تلك الثورة التي أعلنها أهل السنة تجاه الفلسفة والمنطق اليونانيين لجأ الفلاسفة المنتسبون للإسلام إلى التأليف بأكثر من طريقة حتى لا

(١) لأجنس جولد تسيهر: موقف أهل السنة القدماء بإزاء علوم الأوائل، ص ١٤٧

يتعرضوا لغضب رجال الدين مما قد يستعدي الحكام عليهم. وهذا ما فعله معظم المنفلسة " فهم يتكلمون بالسنة كثيرة ويؤلفون كتباً خاصة وعامة ويرمزون أحياناً ولا يجهرن، وربما كان من بين أسباب هذه الظاهرة جملة عوامل من بينها... الخوف من قوة المحافظة وعلى رأسها طريقة الفقهاء والمحدثين ورجال الدين عموماً والسلطة السياسية التي كانت غير مأمونة الجانب حتى عندما يكون لها ميل لتشجيع الفلسفة أحياناً ؛ لأنها هي الأخرى واقعة تحت ضغط الرأي العام متمثلاً في طبقة رجال الدين الذين هم في الغالب على عداوة أو لنقل تخوف من الفلسفة والثقافات الوافدة. " (٢) ورغم تلك المقاومة الشديدة من قبل أهل السنة للفلسفة والمنطق اليونانيين فإنهما تمكنا من إحراز انتصار كبير في ديار الإسلام أمام تلك المعارضة الشديدة. (٣) ويعد الغزالي من أهم الشخصيات الإسلامية التي لعبت دوراً كبيراً في توطيد أقدام المنطق خاصة في ديار الإسلام من خلال تقديمه كثيراً من الأسباب والعوامل التي عملت على بقاءه واستمراره في ديار الإسلام. (٤)

الخاتمة:

تشتمل على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

- ١ - لم يقف المسلمون موقفاً موحداً في التعامل مع فلسفة اليونان ومنطقهم؛ ففي حين وفق فريق منهم - وهم الفلاسفة المنتسبون للإسلام - بين الدين والفلسفة ؛ رفض فريق آخر منهم الفلسفة والمنطق اليونانيين بسبب ما ينطويان عليه من مفاصد وضلالات.

(٢) دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي: د. حسام الدين الأوسى، ص ١٨.

(٣) الفكر الإسلامي بين الأمس واليوم أو شؤون دارنا العقلية: محجوب بن ميلاد، ص ٩١.

(٤) المنطق والموازن القرآنية: قراءة لكتاب القسطاس المستقيم للغزالي: أ.د. محمد مهران،

المقدمة، ص ٨.

٢ - أكد المنطقة على الدور الذي لعبه المنطق اليوناني في تأسيس علوم اللغة العربية وخاصة النحو العربي في مقابل علماء اللغة العربية الذين رفضوا ذلك الدور، وأكدوا على عدم تأثير علوم اللغة العربية وخاصة النحو العربي بالمنطق اليوناني.

٣ - ظهر في ديار الإسلام كثير من المشكلات الدينية والعقلية بسبب اشتغال الفلاسفة المنتسبين للإسلام بفلسفة اليونان ومنطقهم، وفي مقدمة تلك المشكلات " مشكلة خلق القرآن الكريم "؛ مما أدى إلى إلحاق الأذى المادي والمعنوي بمن رفض الرأي الذي تبنته السلطة الحاكمة في تلك الآونة.

٤ - على الرغم من الانتقادات التي وجهها الغزالي للفلسفة والمنطق اليونانيين فإنه يُعد في مقدمة المفكرين المسلمين المرؤجين لهما في ديار الإسلام.

٥ - لعبت لفتاوى والمنشورات التي أصدرها أهل السنة دوراً كبيراً في الحد من الاشتغال بالفلسفة والمنطق اليونانيين تعليماً وتعلماً.

قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم.

• السنة الشريفة.

أولاً: العربي منها:

١ - الإسلام والمذاهب الفلسفية: د. مصطفى حلمي، ط ١، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.

٢ - أحمد بن حنبل إمام أهل السنة: عبد الحليم الجندي، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: لجنة التعريف بالإسلام يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، الكتاب الخامس والستون، الجمهورية العربية المتحدة.

- ٣ - أدب الكاتب: ابن قتيبة الدينوري، حققه وضبط غريبه، وشرح أبياته أو المهم من مفرداته محمد محيي الدين عبد الحميد، بدون.
- ٤ - أصول السنة: أحمد بن حنبل وبحاشيته تمام المنة في التعليق على أصول السنة بقلم عمرو عبد المنعم سليم، ط ١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
- ٥ - أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل: دراسة أصولية مقارنة: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٤ م، مطبعة جامعة عين شمس.
- ٦- إغاثة اللفغان من مصائد الشيطان: ابن قيم الجوزية، حققه وعلق عليه وقدم له د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.
- ٧- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: المقدمات - علم الكلام - الفلسفة الإسلامية: د. محمد علي أبو ريان، ١٩٧٦ م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ٨- تاريخ الفلسفة الإسلامية: وضعه بالإنكليزية د. ماجد فخري نقله إلى العربية د. كمال اليازجي، ١٩٧٤ م، الدار المتحدة للنشر.
- ٩- تاريخ الفلسفة في الإسلام: ت. ج. دي بور، نقله للعربية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر.
- ١٠- التفكير الفلسفي في الإسلام: د. عبد الحليم محمود، ١٩٨٥ م، دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة، بيروت - لبنان.

موقف أهل السنة من فلسفة اليونان ومنطقهم جمعاً ودراسة فكر وإبداع

- ١١- تلبيس إبليس: ابن الجوزي البغدادي، الدراسة والتحقيق والتعليق د. السيد الجميلي، دار الريان للتراث - مصر.
- ١٢- نهافت للفلاسفة: الغزالي، تحقيق د. سليمان ننيا، ط ٣، مزيدة، نخائر العرب (١٥) دار المعارف - مصر.
- ١٣- حقيقة الفلسفة الإسلامية: جلال لعشري، ط ١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، الدار المصرية اللبنانية طباعة نشر توزيع.
- ١٤- دراسات الفكر الفلسفي الإسلامي: د. حسام الدين الألوسي، ط ١، ١٤٠٠ / هـ ١٩٨٠ م المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ١٥- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة: ابن قيم للجوزية، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له د. علي بن محمد الدخيل الله، للنشرة الأولى ١٤٠٨ هـ، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ١٦- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام: جلال الدين السيوطي ويلييه مختصر السيوطي لكتاب نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان لنقي الدين بن تيمية، نشره وعلق عليه علي سامي النشار، ط ١، ١٩٤٦ م، بنفقة مكتبة الخانجي بمصر - مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
- ١٧- فتاوى ومسائل في التفسير والحديث والأصول والفقه ومعه أدب المفتي والمستفتي: ابن الصلاح، حققه وخرج حديثه وعلق عليه، د. عبد المعطي أمين فلعجي، ط ١، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي وبهامشه للمل والنحل للشهرستاني، مكتبة الخياط، بيروت - لبنان.

- ١٩- الفكر الإسلامي بين الأمس واليوم أو شؤون دارنا العقلية: محجوب بن ميلاد، ط ٢، ١٩٦١ م، الشركة القومية للنشر والتوزيع - تونس.
- ٢٠- الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي: رؤية نقدية لفكر الغزالي وفلسفته: د. زكريا بشير إمام، ط ١، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، مكتبة الفلاح - الكويت للنشر والتوزيع.
- ٢١- في الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيق: د. إبراهيم مذكور، دار المعارف - مصر.
- ٢٢- لاجنتس جولد تسيهر: موقف أهل السنة القماء بإزاء علوم الأوائل، دراسة ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: دراسات لكبار المستشرقين: ألف بينها وترجمها عبد الرحمن بدوي، ١٩٤٠ م، الناشر مكتبة النهضة العربية.
- ٢٣- مجموعة الرسائل: ابن تيمية، يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - الأزهر - مصر.
- ٢٤ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل للعلم والإرادة: ابن قيم الجوزية. بدون.
- ٢٥- المقابسات: أبو حيان التوحيدي، محقق ومشروح بقلم حسن السندوبي، ط ١، ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩ م، المطبعة الرحمانية، يطلب من المكتبة التجارية الكبرى - مصر.
- ٢٦- المنطق والموازن القرآنية: قراءة لكتاب القسطاس المستقيم للغزالي: أ.د. محمد مهران، ط ١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، سلسلة أبحاث علمية (١٣) المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٢٧- المنقذ من الضلال الغزالي: مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الغزالي: أ.د. عبد الحليم محمود، مطبعة حسان، يطلب من دار الكتب الحديثة.

٢٨- النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية: د. حسين مروة، ط ٢، ١٩٧٩ م، دار الفارابي - بيروت - لبنان.

الأجنبي منها:

- 1- Sheikh (Saeed.M):Islamic philosophy ,first impression © 1982 the Octagon press Ltd.Photoset and printed in Great Britain.
- 2 – Watt (Montgomery.W) Muslim intellectual a study of Al – ghazali , ©1963 , the Edinburgh university press. U.S.A. Agent: Aldine publishing company.